اللغة العـامّة

ما زالت الحاجة تدفع ارباب العلم حيناً بعد حين الى وضع لغةٍ عامّة تتفاهم بها أجيال البشر على اختلاف مواطنها بحيث يكون الانسان انَّى توجه وحيثما نزل ترجمان نفسهِ على ما هو حق النطق الذي اودعهُ الخالق عزّ وجلّ هذه الجارحة اللسانية . ولايخفى ان هذا الغرض لا تصلح لهُ احدى اللغات المتعارَفة لما رُكّب في طبع البشر من المنافسة والأَثَرة بحيث يتعذر اجتماعهم على تفضيل واحدةٍ منها وتواطؤهم على ايثارها دون سواها . أَجَلْ لا يُنكَر ان بعض اللغات قد استفاض استعمالها بين كثير من أمم الارض ومنها ما بلغ عدد الذين يتكلمون بها اضعاف عدد ذويها كما هو الحال اليوم في اللغة الفرنسوية واللغة الانكليزية مثلاً الاَّ ان ذلك تابع لنفوذ اصحاب تلك اللغة وارتفاع مكانهم في العـلم والصناعة وانتشار تجارتهم وفتوحهم في الآفاق البعيدة . وهو انما ينحصر في الحدود التي بلغ اليها ذلك النفوذ ويبقى فيها مع بقآئهِ فاذا ضَعُفَ أو تحوّل الى أمةٍ أخرى تبعتهُ اللغة جرياً في الامرين على سُنَّة تنازع البقآء

وهناك أمرٌ آخر وهو ما في تعميم احدى هذه اللغات من الصعوبة لان كلَ لغة من اللغات المعروفة لا تُملَك الاّ بعد عنآءٍ جزيل ومراس طويل لانها بأسرها من بنات الاتفاق ومواليد الزمن على حدّ سائر الاعمال التي تتم مع الايام ويتعاقب عليها الكثيرون من العمّال على غير تواطؤٍ ولا سبق تقدير فتأتي في كثير من احوالها على غير ما تسوق اليهِ البداهة

ويقتضيهِ النظر والقياس . وذلك مع كون متعلم هذه اللغة انما يبتغيها لتكون لغةَ اضافية يستخدمها عند الاقتضآء بعـد ان يستولي على أحكام لغتهِ الخاصة وفي ذلك ما لا يَسَعهُ طوق كل أحد . ولذا كان من همّ القوم ان يضعوا لغةً مطّردة القياس سهلة المنال قليلة القواعد يتمكن كل طالبٍ من تناولها على غير كدّ ذهن ولا عنآءٍ كبير

قيل وأول من شرع في وضع شيء من هذا القبيل هو الشيخ محيي الدين ابن العربي من أهل القرن السادس للهجرة فانهُ وضع لغةً خاصة باستعمال المتصوّفة أخذ الفاظها من العربية والفارسية والعبرية وسماها بَلَيْلان (كذا) ذكر ذلك ليون ڤايس احد علمآء المشرقيات من الفرنسيس قال ومعنى بَلَيْلان لغة المحي (langue de ce qui vivifie) اي لغة محيي الدين ولكن لم يتصل بنا شيء من هذه اللغة ولا رأينا لها ذكراً في كتب العرب

واما في العصور المتأخرة فقد عُني بهذا الامر عدّةٌ من العلمآء منهم باكُون احد فلاسفة الفرنسيس من أهل القرن السادس عشر ثم دِيكَرْت ولَيبنِس وبِشّر وهو اول من وضع في ذلك كتاباً استقرى فيهِ المعاني فوضع بازآء كل معنى اللفظ الدالّ عليهِ ووضع احكام الصيغ الصرفية والتركيبية . ثم تلاهُ في ذلك ولكِنْس اسقف شِسْتَر وحذا حذوهما كثيرون ممن جآء بعدهما فتفننوا في الوضع على انحآء مختلفة وأغرب ما جآء في ذلك ما رُوِي عن پسَلْمَنَزار الرحّالة الفرنسويّ الشهير من أهل القرن الثامن عشر فانهُ لفّق لغةً زعم انها لغة أهل فُرمُوزا من الجزائر الصينية وكان يزعم انهُ هو من اهلها ايضاً الاّ ان كل ذلك لم يصادف اقبالاً من الجمهور

وجآء بعد ذلك الدكتور شلّيَر من أهل المانيا وهو من اكابر اللغويين يحسن فيما ذكروا ستًّا وخمسين لغةً فعانى وضع لغةٍ من مثل ذلك اختار كلماتها من لغات اوربا ونشر كتابهُ سنة ١٨٧٩ بعد أن قضى في تأليفهِ عشرين سنةً وسمى تلك اللغة بالڤُولاپُوك وهي لفظةٌ من أوضاع هذه اللغة عينها معناها اللغة الجامعة . فانتشرت في أول الامر بين الخاصة ولا سيما في ألمانيا وما يليها من اواسط اوربا وأُلّفت لها ندوةٌ علمية وعُقدت فيها مؤتمرات كان التخاطب فيها بهذه اللغة ونُشرت بها عدة جرائد ولكنهُ لم يأتِ آخر القرن حتى كانت قد أُهملت بتّةً

وفي اثنآء ذلك كان الدكتور زامَنهُوف من اهل ڤرسوڤيا يشتغل بوضع لغةٍ اخرى فقضى في ذلك اثنتي عشرة سنةً ثم نشر رسالةً عرض فيها اصول تلك اللغة وجعل عنوان رسالتهِ « دكتورو اسپرَنتو » اي الاستاذ المؤمِّل وذلك ان العلمآء كانوا قد يئسوا من وضع لغة من هذا القبيل فلزم لغتهُ هذا اللفظ وسميت بالاسپرَنتو . وهي تتألف من ٣٢٠٠ مادّة اقتبسها من جميع لغات اوربا بحيث اختار لكل معنًى اساس الفاظ تلك اللغات او اكثرها شيوعاً وألحق بها ثلاثين لفظة دائرة تركَّب مع سائر الفاظها فيُدَلّ بها على تفرُّع المعاني الوضعية وسبع عشرة زيادةً صِيغيّة تدل على المعاني التصريفية فصار بذلك يمكن ان يركَّب منها عشرة ملايين من الكلمات

وقد اشتهرت هذه اللغة واقبل القوم عليها لبساطة وضعها وسهولة تناولها فانتشرت في روسيا والنمسا والمانيا وفرنسا وقد طُبع مؤلَّف زامنهوف فيها في ثماني عشرة لغةً وتُرجِم اليها ما يزيد على مئة وخمسين مؤلَّفاً منها

منظومات هوميروس وڤرجيل وشكسبير وگُوتي وبُومَرْشاي وغيرها والمتكلمون بها الآن يبلغون نحو مئة الف منهم نحو عشرة آلاف في فرنسا. وقد عُرض في معرض سان لويس عدة صُحُف ومؤلفات بهذه اللغة منها ٢٥٠ مؤلفاً واكثر من ٣٠٠٠ بطاقة بريد و٢٠ جريدة مطبوعة في بلدان شتى . وعُقد لها في شهر اوغسطس من سنة ١٩٠٤ مؤتمر اجتمع اعضاؤهُ من كل بلد فلبثوا في اجتماعهم يومين وافاضوا في مباحث شتى وكان كلامهم جميعهُ بالاسپرَنتو

اما اقتباس هذه اللغة فهو من السهولة بحيث يقضي بالعجب ومن غريب ما رُوي في ذلك ان كاتب جريدةٍ في اودسّا كان يروم تعلمها واتفق ان سائحين من اسوج قدما تلك البلدة وكانا قد ألزما أنفسهما ان لا يتكلما الا بالاسپرَنتو فقصدهما وابتاع منهما كتاباً في اصول هذه اللغة ثم اقبل يتصفحهُ فما انقضى ذلك النهار وجاء الليل حتى عاد الى السائحين واخذ يحادثهما باللغة نفسها. ولا ريب ان لغةً هذا مبلغ سهولتها لا يمضي زمن حتى يعمّ استعمالها جميع البلاد المتمدنة لكن الاظهر ان هذه السهولة انما هي بالقياس الى المتكلمين باللغات الاوربية لانها مأخوذة منها فهي مجانسةٌ لها في الكثير من الفاظها . ولكن مهما يكن من ذلك فلا شك ان قواعدها في منتهى البساطة واللغة اذا مُلِكت قواعدها وسَهُلَ فهم معانيها الاشتقاقية والتركيبية فلا يبقى لتفهُّم المعاني الوضعية الا ان يكون لها في حوزة المطالع مُعجَم يكشف عن معاني مفرداتها ثم الامر بعد ذلك لقوّة الذاكرة ومقدار الممارسة والاستظهار